مجلة علوم التربية

دورية مغربية فصلية متخصصة

- المنتدى التربوي و إرساء مدرسة النجاح
- التدريس بالمجزوءات
- تطبيقات على البيداغوجيا الفارقية
- الدرس العلمي والتغيير الاجتماعي
- الاحترافية في التدريس
- المدرسون تحت المجهر
- تقويم كفايات التلاميذ
- ظاهرة الغياب المدرسي

العدد السادس والأربعون -دجنبر 2010

تطبيقات على البيداغوجيا الفارقية

نورالدين مشاط

هناك سيناريوهات عديدة لتطبيق البيداغوجيا الفارقية تمتد من سيناريوهات تعتمدها الوزارة إلى السيناريوهات التي يعتمدها المدرس مرورا بأخرى يمكن أن تعتمدها المؤسسة بناء على اجتهادات لهيئة التدريس تبنيها وتطرحها على مجلس التدبير لتدارسها وتجريبها ومن ثم الوقوف على ثمارها في أفق تعميمها. وخلال بحثي هذا سأركز على المدرسة والفصل الدراسي وسأترك ما يدخل ضمن اختصاصات الوزارة خارج هذا الإطار.

إجراءات على صعيد المدرسة:

يمكن لهيئة التدريس والمدير الاتفاق على تفييء التلاميذ بناء على روائز تقدم في عشرية المدرسة لاستثمارها في تحديد مستويات التلاميذ ومن ثم توجيههم إلى مستوى يتناسب وإيقاعهم التعلمي. وهكذا يصبح لدينا في كل مستوى دراسي فصلين أو أكثر حسب إيقاع التعلم وضمن ما هو متاح. وتسند الفصول الدراسية المصنفة في إطار المتوسط وما دونه إلى أساتذة ذوو مؤهلات كبيرة وقدرة على التحمل ليقوموا بعملية الارتقاء بالمتعلمين وتجاوز ما يحسه هؤلاء من صعوبات، في حين تسند الفصول الدراسية المصنفة في إطار ما فوق المتوسط إلى أساتذة يمكنهم تنشيط فصولهم وفق إيقاعات تتميز بالعمق والجودة.

---

* رئيس شبكة الأساتذة المجددين بالمغرب، مكون رئيسي في برنامج تعميم تكنولوجيا المعلومات والاتصالات بالمغرب.

وهكذا سيصبح النجاح نجاحا تعليميا، لتسير المدرسة وفق إيقاع متعلم محدد وليس وفق متعلم هولامي مجرد. ويمكن للمتعلم كل سنة أن يغير الفصل بناء على ما سيحصل عليه في روائز أول السنة انطلاقا من استعداداته ومؤهلاته وتجاوزه للصعوبات التي كانت تعتوره.

غير أن الإجراءات على صعيد المؤسسة قد تعترضها حواجز منها:

وجود فصل واحد في ذلك المستوى (حسب الخريطة المدرسية وعدد تلاميذ المستوى المستهدف).

عدم وجود رغبة لدى هيئة التدريس للعمل مع المجموعات الضعيفة.

عدم وجود مدير قيادي مبادر يتحمس للمشروع وييسر تطبيقه ويدبر وسائله ويتابع الإنجازات بتنسيق وتشاور مع مجلس التدبير.

إجراءات على صعيد الفصل:

بادئ ذي بدء يمكن التمييز بين إجراءات وترتيبات يقوم المدرس بهندستها ليطبقها على مجموعات ضمن ما يصطلح عليه بالعمل بالمجموعات، وهو نظام له أهدافه وطرق تنشيطه، وبين إجراءات يقوم ببلورتها لتخدم فردا بعينه انطلاقا من مقولة:

«No two children are alike. An enriched environment for one is not necessarily enriched for another.»

Marian Diamonds: Professor of Neuroanatomy at Berkeley

(ما من طفلين إلا وهما غير متشابهين. فالبيئة الغنية بالنسبة لأحدهما ليست حتما غنية بالنسبة للآخر.)

هذه المقولة تضعنا أمام إشكال حقيقي قد نغفله ونحن نخطط للتعلمات ألا وهو انتظارات التلميذ. فنحن نسطر دائما انتظارات المنظومة ضمن ما نصطلح عليه بمواصفات التخرج، لكننا قلما توقفنا عند احتياجات هذا المتعلم كفرد له طموحاته وله عوائقه الخاصة. قلما توقفنا عند أناته ونحن نفرض عليه إيقاعا قد لا يتناسب معه ونلبسه لباسا قد يكون ضيقا أو فضفاضا بالنظر إلى ما يحتاجه. إن فرض قالب واحد يتم محاولة النسخ عليه هو ضرب من قتل للقدرات والتميز.

نحن غالبا ما نلجأ إلى العمل المجموعاتي لما يتيحه من يسر العمل ضمن زمن ومكان محددين سلفا. ويبقى العمل الفردي ضامرا باعتبار قلة التجربة والإمكانات الميسرة لمتابعته من جهة ووجوب التطوع للانخراط في أعمال خارج الزمن الرسمي للفعل.

أ) تطبيقات في إطار العمل بالمجموعات:

مجموعات حسب المستوى الدراسي:

يمكن للمدرس ووفقا لنتائج روائز أول السنة أن يفيئ التلاميذ إلى أربع مجموعات (أ، ب، ج، د) ومن خلال ذلك يبني مجموعات متقاربة على أساس أن تتشكل من فرق تضم (أ، ب، ج) وأخرى من (ب، ج، د) على أن لا يلتقي (أ) و (د). تعمل المجموعة وفق أدوار محددة: ميسر المجموعة، المقرر، الناطق باسم المجموعة. وتتكون مجموعة العمل من حيث عدد الأفراد من ثلاثة أو خمسة ولا تتعدى ذلك لأن من شأنه خلق معبقات حقيقية للتواصل وبالتالي تحقيق الأهداف.

هدف هذا التوزيع يتمثل في خلق بيئة يكون فيها التعلم بالأقران. وهو تعلم ما فتئ يتمدد أكثر فأكثر بناء على ملاحظات المختصين والمتمثلة فيما يلي:

نظام المجموعات يساعد على تجاوز العوامل الاجتماعية والنفسية (الخوف – الخجل – انعدام الثقة)،

ويخلق اهتماما أكبر بالموضوع،

ويساعد على استغلال طاقات وخبرات المشاركين القصوى،.

ويولد التفاعل مع الفئات المختلفة في إطار إحساس حقيقي بالانتماء لجماعة وهو ما يعطي للتعلمات معنى.

انطلاقا من هذا التفييء، تعمل جماعات القسم في تنافسية فيما بينها حيث يتم تدبير أنشطة التعلم بناء على هذا التوزيع كطرح الأسئلة والإجابة عنها، وتعليلها باعتماد استراتيجية تفرض التشاور فيما بين أعضاء المجموعة والخروج برؤية واضحة.

لنأخذ مثال لنشاط تعلمي وفق هذا النمط:

الجملة الفعلية: الفاعل ظاهر		
دور الأستاذ	دور مجموعات المتعلمين	ملحوظة
- يطلب الأستاذ من المجموعات الإتيان بجملة تبتدئ بفعل.	- تعمل المجموعات على الإتيان بجمل وذلك بطريقة تشاورية.	يحدد الزمن المخصص للمشاورات وتتعود المجموعات على الإجابة في جو من الانضباط.
- يسجل الأستاذ أسماء المجموعات على السبورة، ليقدم نقطا للمجموعات التي أجابت بشكل صحيح.	- تدقق المجموعات في مكامن الخطأ وتصحح.	
- كما يطلب من المجموعات الأخرى كي تتعرف عن الخلل فيما قدمته وفي حال عجزها تتولى المجموعات الأخرى فعل ذلك والتصحيح.	- في حالة العجز تقدم المجموعات الأخرى التصحيح.	
- يطلب من بعض أعضاء المجموعات تعليل أجوبتهم.	- يعلل أفراد المجموعات ذات الجواب الصحيح (الأفراد المنتقون) أجوبة مجموعتهم.	
- يختار جملة مناسبة ليسألهم عن:		
× من فعل كذا؟	- تحدد المجموعات الجواب وتقدمه للمدرس عبر الناطق باسمها.	
- يقدم المدرس مصطلح (فاعل) مفسرا إياه.		
- يطلب من مجموعة ما الإتيان بجملة متضمنة للفاعل.	- تقدم المجموعة الجملة بعد التشاور طبعا.	
- يطلب من المجموعات الأخرى تحديد الفاعل.	- تحدد المجموعات الفاعل وتقدم ذلك باستعمال الألواح مثلا.	

انطلاقا من هذه الأنشطة يتعلم أعضاء المجموعة من بعضهم البعض فتتقلص الفوارق. كما أن هذا التفييء يتم حسب المادة بحيث يختلف أعضاء المجموعات من مادة إلى أخرى، فيحدث التلاقح المعرفي.

مجموعات حسب الصعوبات:

يتم توزيع المجموعات حسب الصعوبات الملحوظة في المادة وذلك خلال أسبوع الدعم انطلاقا مما سجله المدرس خلال فترة إرساء الموارد بالنسبة للمتعلمين.

مثال: مجموعة عندها مشاكل في فهم (الحال والجملة الحالية) وأخرى في (النعت وأنواعه) في حين تخلط الثالثة بين النعت والحال، أما الرابعة فمتفوقة.

يقدم المدرس لكل مجموعة تمارين أو وضعيات مناسبة لمستواها والتي تعالج المشاكل التي تعاني منها المجموعة. تنجز المجموعات ما هو مطلوب منها ويتم التصحيح من قبل الزملاء في المجموعة وبعد ذلك من قبل المدرس ليتم إعادة الصياغة فيما بعد على أساس إدراك مكمن الخلل.

في حين يتم تقديم وضعيات جد مركبة أو تمارين مناسبة لمستوى المتفوقين على أساس أن لا تخرج عن نطاق موضوع الدرس. وبذلك نوفر لهم متعة التعلم وفق إيقاعهم الخاص.

هكذا نكون قد طبقنا أحد أساليب فيليب ميريو Philippe Meirieu وهو: تشخيص الثّغرات الحاصلة عند كلّ تلميذ وضبط أهداف مختلفة تبعا للأخطاء.

وقد يكون الدرس واحدا: الحال مثلا، ويقدم بطبعات مختلفة من مجموعة لأخرى حسب سرعة استيعاب كل مجموعة بحيث يتم التبسيط لواحدة والتعميق لأخرى. وهذا ما سماه ميريو (الهدف الواحد لمجموعة الفصل عبر تمشّيات مختلفة).

المجموعات حسب المواد:

يحصل هذا بشكل عادي في الأقسام المشتركة بحيث تشتغل مجموعة على النشاط العلمي في حين تشتغل الأخرى على التربية الفنية مثلا. قد نقدم للأولى تمارين تفاعلية على الحواسيب إذا ما توفرت، في حين نبني والأخرى درسا والعكس يتم بعد ذلك بتغيير المواقع.

المجموعات الثنائية:

قد نبني مجموعات ثنائية متجانسة من متعلمين متقاربين في السكن والمستوى فتشجعهم

على الدخول في علاقات تعلمية خارج القسم وهو ما استثمرته مؤخرا حكومة كيبيك. قد نستثمر هذا في إنجاز أبحاث يتكامل فيها الثنائي على مستوى الكفايات لينتج شيئا ما كان للفرد وحده أن ينتجه. أو قد نستثمر ذلك في عمليات استنتاج أو تحليل انطلاقا من أنشطة محددة وفيها يتكامل الثنائي تبعا للزوايا التي رصد منها الشيء.

صعوبات وإكراهات:

رغم أن العمل ضمن جماعة يسعى إلى استثمار التلاميذ بشكل قوي ومتنوع إلا أن هناك عوائق قد تحول دون الوصول إلى تحقيق كل النتائج المسطرة. من هذه العوائق:

حدوث صراعات في بعض الأحيان بين أفراد الجماعة.

هناك تلاميذ لا يقومون بدورهم ويقتاتون على ما يقدمه الآخرون،

وهناك من يرفضهم رفاقهم،

قد تتحول القيادة الميسرة إلى سلطة وبالتالي يكون استبداد بالرأي يؤدي ثمنه التلاميذ الخجولين،

يصبح التلاميذ الذين يعانون من الصعوبات متهمين من طرف زملائهم بكونهم سبب ضعف الأداء.

العمل الفردي:

عادة ما نلجأ إلى الأعمال الفردية لتعميق العمل أو البحث في موضوع ما نرى ميل الفرد إليه. وقد نبتغي بها إحداث تعلمات ذاتية لتدارك خلل أو تقوية مستوى التحكم لمادة ما وذلك باعتماد سيناريوهات خاصة بالمتعلم المستهدف. وكأمثلة على الأنشطة في هذا الصدد نورد الجدول التالي:

خلاصـــــة:

باعتمادنا البيداغوجيا الفارقية فإننا نفرق:على مستوى المجموعات والوسائل واستخدام الأمثلة والطرق المتبعة ودرجة التدخل في عمل المجموعة وأخيرا زمن الإنجاز وذلك انطلاقا من الصعوبات المرصودة والفوارق على مستوى إيقاعات التعلـم. ومن هذا المنطلق يجدر بنا أن ننتبه إلى أشياء مهمة تتمثل أولا في دقة تحديد الأهداف الجماعية، وعدم إغفال التتبع الفردي، واحترام التعاقد المسطر فيما بين أعضاء الجماعة.

وتدخل الأنشطة المستهدفة للأفراد في إغناء التعلمات بحيث تتماشى وطموحاتهم ورغباتهم بل وإيقاعات تعلمهم أيضا. كما تسد الثغرات المرصودة والتي تحتاج إلى الدعم.